من بلاغة الإطناب في الحديث النبوي الشريف

د. نعـم هاشـم الجمـاس
قسم اللغة العربية / كلية التربية
جامعة الموصل

الاستلام ٠٨ / ١١ / ٢٠٠٩
القبول ١٦ / ٠٢ / ٢٠١٠

الملخص

شرع البحث في تبيان العلاقة الوشيجة ما بين المرجعية المعجمية للإطناب وبين تعريفه البلاغي الشائع في مؤلفات البلاغيين، وقد توظّف الأسلوب البلاغي وأغلب أنواعه وتعريفاته البلاغية في الحديث النبوي الشريف بغية استخلاص الغايات والدلائل البلاغية التي بلغت مرة أخرى بالإتساق البلاغي ما بين لغة النص النبوي والأنواع الإطنابية وتعاريفها إذ انسجمت مداولات الدوال النبوية مع ضروب الإطناب من خلال التحليل البلاغي انسجاماً بالغاً، وبدت جماليات الإطناب جلية واضحة في أثناء تحليل النصوص النبوية ذلك أن النطق النبوي "أساسه التعبير والبيان والبيان لا يكون إلاّ بالإشباع والإشباع لا يقع إلاّ بالاقناع فأفضل الكلام أبينه وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلاّ بالإستقصاء والإطناب"[1]، ولا جرم أن بلوغ المضامين والمقاصد النبوية إنما هو موقوف على التعبيرات المشبعة المستقصاة إبتغاء بناء المجتمع الإسلامي الأمثل.

Abstract

The present study shows the strong relation between the lexical reference of periphrasis and its rhetorical definition that is common in the books of the eloquent. The rhetorical style and most of its rhetorical types and definitions was utilized in the prophetic tradition for the purpose of taking out the rhetorical objectives and indications that attained again the rhetorical consistency between the language of prophetic text and the types of expatiation. The significances of prophetic indications accorded

(1) كتاب الصناعتين، ١٩٦.

extremely with the types of periphrasis through the rhetorical analysis. The aesthetic aspects of periphrasis became obvious through analyzing the prophetic texts. The basis of prophetic say is euphemism and rhetoric. The rhetoric is achieved just by satiation which is occurred by satisfaction. The best speech is the most obvious one, and the most obvious one is the speech surrounded strongly by the meanings through only investigation and periphrasis. Attaining the prophetic objectives and indications and meanings is dependent on the satisfied expressions investigated with the aim of building the perfect Islamic society.

تقديم

الإطناب لغة: مصدر أطْنَب وَأطْنَب المرء في كلامه إذا بالغ فيه وأكثر وَأبعد، وأطْنَب المرء في وصفه: إذا بالغَ واجتهد، والإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، والإطناب: المبالغة في مدحٍ أو ذمٍ والإكثار فيه ... [1].

وبالنظر البلاغي الدقيق إلى المرجعية المعجمية يمكن التوصل إلى الملاحظ الآتية:

١) إن التطويل في الكلام والإكثار في ألفاظه والمبالغة فيه يدل دلالة قاطعة على تشكل جملة الإطناب من ألفاظ يتبع بعضها البعض الآخر ويعلق به ويرتبط معه الإرتباط والتماسك التام وهي تلك الألفاظ التي تستكثر وتزيد على معانيها ...

٢) يتوظف الإطناب في الكلام لإفادة جملة من الفوائد والدواعي والمسوغات والغايات البلاغية التي تتأتى بعد إعمال الفكر البلاغي وتيقظه واجتهاده في قراءة الجمل الإطنابية القراءة البلاغية الدقيقة ومعرفةِ ما تخفي وراء ثرائها اللفظي من اعتبارات ودقائق ومعانٍ وأسرار بلاغية ...

وهكذا يتسق التأسيس اللغوي مع التعريف البلاغي للإطناب الشهير في مؤلفات البلاغيين الذين حدوه بقولهم "هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[2]، وسيشرع البحث في توظيف هذا الأسلوب وبعض أضربه المتعددة[3]، في نصوص من أحاديث نبي الأمة ﷺ وليتناول بالتحليل البلاغي طائفة منها وكالآتي:

---

(1) ينظر: لسان العرب مادة (طَنَب) ٢٠٦/٨.

(2) المثل السائر ٣٩٣/٢-٣٩٤.

(3) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الإيضاح ٢٠٦، التلخيص ٢٣١، شروح التلخيص ٢٣٧/٣-٢٤٥، المطول ٢٩٦.

الضرب الأول: عطف الخاص على العام:

وذلك بأن يذكر المضمون والمقصد النبوي العام ثم يذكر المضمون والمقصد النبـوي الخاص أو المضامين والمقاصد النبوية الخاصة بعده تنبيهاً على فضلها حتى كأنها ليست مـن جنس العام تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات[1]، ولذكر الخاص بعد العام في الحديث النبوي الشريف مسوغات بلاغية تنكشف في خلال تحليل النص النبوي الآتي:

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (ألا كُلكُم راعٍ وكُلكُم مسئُولٌ عن رعِيتِهِ فالأمِير الذِي علـى الناس راعٍ وهو مسئُولٌ عن رعِيتِهِ والرجلُ راعٍ على أهل بيتِهِ وهو مسئُولٌ عنْهم والمرأةُ راعِيـةٌ على بيتِ بعلِها وولدِهِ وهِي مسئُولةٌ عنْهم والعبد راعٍ على مال سيدِهِ وهو مسئُولٌ عنْه ألا فكُلكُـم راعٍ وكُلكُم مسئُولٌ عن رعِيتِهِ).[2]

إن بلاغة بسط الكلام في أهم الأمور الدينية والدنيوية مما ينضوي عليه حديث نبـي الأمة ﷺ فالإطناب في إيراد ذلك الأمر الجلل – أمر المسؤولية – لابـد منـه بغيـة إفهـام المخاطبين ولاسيما المسؤولين بل إشباعهم فهماً لتوجيه نبي المسؤولية ﷺ لذلك بـات لزامـاً عليهم الإقتداء بالمسؤول الأول عن أمر امة الإسلام صلوات ا وسلامه عليه.

إن مكمن المضمون العام الذي يضمه الضرب الإطنابي يتمثل في المسؤولية الجماعية التي أعلن عنها نبي الإسلام ﷺ في قوله "ألا كُلكُم راعٍ وكُلكُم مسئُولٌ عن رعِيتِهِ" إذ لا يخلـو أي امرءٍ من المسؤولية المتدرجة تبعاً لاختلاف المكانة والدرجة فالمسؤولية إذن تعم الجميـع وتشملهم ثم تخص كل مسؤول وتقسيم الخصوص إنما يكون إلى جهةِ الأمير وجهـة الرجـل وجهة المرأة وجهة الخادم[3] ولا جرم أن المبتغى البلاغي المتأتي من عطف الخـاص علـى العام يتمثل في حث وحض وضرورة تنفيذ المسؤوليات المضطلع بها من جميع أفراد الأمـة ويضاف إليها مبتغى بلاغي في غاية الأهمية ومكمنه التحذير من التقصير في تلك المسؤوليات والتقاعس والإهمال والتأخر عن إنجاز مقتضياتها وتروع البلاغـة النبويـة بتناسـق النـوع الإطنابي ومبتغياته البلاغية مع دلالة الألفاظ إذ إبتدأ القول الشريف بأداة التنبيه والتحـضيض (ألا)[4] لينبه جل المسؤولين ويحضهم على ضرورة التضلع بالقيام بمهام المسؤولية الجماعيـة الملقاة على عاتق جميع أفراد الأمة وتتناسب الدلالة الشمولية تناسباً بالغاً مع الخطاب بلفظهـا

---

(1) ينظر: الإيضاح: ١٩٧، التلخيص: ٢٢٣، شروح التلخيص: ٢١٦/٣، البرهان: ٤١٢/٢.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية ورقمه (٤٧٠١).

(3) ينظر: فيض القدير ٥٣/٥.

(4) ينظر: مغني اللبيب ١٤٣/١، ١٤٧.

(كُلُكُم) ومع تنكير لفظ (الرعاية والمسؤولية) في عموم النص النبوي بغيـة أن يكـون كـل مسؤول حافظاً مؤتمناً على كل شيء يوكل إليه تدبير أمره ومراقبته والإهتمام به فهو مطالب بالعدل في المهام والقيام بجل المصالح في الدين والدنيا وبكل ما يتعلق بهما[1]، وتبلغ بلاغـة النبوة في إفاضة الألفاظ مرة أخرى عندما يتداخل الإطناب بذكر الخـاص بعـد العـام مـع الإطناب بالتكرار الذي أريد به ترسيخ المضمون النبوي والتطرية به والتجديد لعهده وهذا مما ينبعث من تكرير ألفاظ (الرعاية/المسؤولية) أولاً ثم من تكرير جملة (ألا كُلُكُـم راعٍ وكُلُكُـم مسْئُولٌ عن رعِيتِهِ)[2].

وتتوالى ضرورات إنجاز المسؤوليات بدءاً بأهم مسؤول وأخص راعٍ حقيـق بالـذكر ولعل هذا مما يومئ إليه تعريف لفظ الأمير بـ (أل) وسبقه بالحرف العـاطف المتفـرد فـي النص النبوي الكامن في (الفاء) فالأمير مسؤول المسؤولين لأنه الحاكم الذي يتولى أمر قيـادة الأمة وتنكير لفظ (الرعاية والمسؤولية) ينبئ بعظم وفخامة أمرهما[3] فضلاً عن الإنباء بتميز نوع المسؤولية الكبرى على أختلاف أنواعها وكثرتها[4] لأنها تعني مسؤولية الحكم والإصلاح وتوجيه الرعية نحو كل ما هو خير ومسؤولية النهوض بالمجتمعات والحرص على رفاهيـة أبنائها بمنحهم الحقوق كاملة وبمختلف أنواعها والأمير الراعي الأول والمسؤول الأول عـن قوة البلاد وعزتها وهيبتها إنه المتمرس المحنك في المسؤولية القيادية الآخذ على يد العـابثين والمفسدين الذين يضربون بمعاول الهدم في جسد الأمة. وتفضل بلاغـة تخـصيص الأميـر بالذكر مرة أخرى عندما تبدي مكمنها الرئيس المتمثل في ضرورة الإئتساء بالأمير والحـاكم والإمام والراعي والمسؤول الأول وهو نبي الإمامة والرئاسة والحكم السديد ﷺ فلا قيـادة ولا نهوض بواقع المرؤوسين إلاّ بإقامة حدود الشريعة وأحكامهـا، ويتتـابع ذكـر المـسؤولين المشتركين في حكم المسؤولية كما ينبئ بذلك الحرف العاطف الشائع في النص النبوي (الواو) ويتخصص كل مسؤول بمسؤوليته الخاصة به كما ينبئ بذلك تعريف كل مخصص بـ (أل) ... (الرجل، المرأة، العبد) ثم يتوغل ذلك التخصيص بطريق التعريف بالـضمير المنفـصل الشائع في النص النبوي (هو ... هي)[5] والمسؤوليات الجماعية في ازديـاد بـداعي جمـل المسؤوليات التي خص فيها المسؤول المهم بعد ذكر المسؤول الأهم وهو الرجل الراعي لأهله وأسرته الرعاية الخاصة المميزة في نوعها المتكثرة المتعظمة لأنها تعني رعاية الزوجة أولاً

([1]) ينظر: المنهاج ٤٥٩/٦.

([2]) ينظـر: التكـرار فـي القـرآن الكـريم مـن خـلال رسـائل النـور، حـسن الأمرانـي www.nuronline.com/symzip/98pdf/23.pdf.

([3]) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى ٢٣٤.

([4]) ينظر: علم المعاني ١٢٥.

([5]) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ٥٧/٥٥.

وقبل كل رعاية ومسؤولية أخرى والنبي الراعي ﷺ يلزمه بضرورة وفائه بمسؤولياته الكبرى تجاه الأسرة من نحو النفقة والكسوة وتأمين المسكن وحسن المعاشرة وأن يرعـى بالرعايـة الكبرى تربية الأبناء التربية المثلى القائمة على مبدأ الإسلام المعـروف بـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر والترغيب في الطاعات والترهيب من الموبقات إنهـا مـسوؤولية صـون الحقوق والواجبات التي تتصل بتمام الصلة مع مسؤولية المرأة التي ترعى زوجهـا الرعايـة العظمى وتنكير لفظي رعايتها ومسؤوليتها يومئ الى ضرورة ووجوب منحها الحقوق المثلـى والكبرى لزوجها بكل ما اقتضت الحقوق والرعاية والمسؤولية من شروط، ومسؤولية المـرأة متميزة النوع في حسن التدبير وتقلّد الأمانة العظمى ولاسيما في تربية الأبناء وحفـظ العيـال وتعظم مسؤوليتها عندما تومئ الى إنشاء جيل قادر مقتدر على تحمـل المـسؤوليات عامـل بأحكام الشرع في إنجاز مهامها ... ومنتهى الإطناب النبوي بليغ في تخصيص المسؤول عن رعاية المخدوم وبلاغة الإختتام بذكره خاصاً في المتن الإطنابي مكمنها أنه قد يغيب عن ذهن المخاطب أهمية مسؤولية ذلك المسؤول فيكون التنبيه على أهمية رعايته ومـسؤوليته مكمـن الإنتهاء بذكره، وتنكير لفظي رعايته ومسؤوليته بليغ لإيحائه بعِظَمِ مهمته في حفـظ أمـوال المخدوم وضرورة المحافظة عليها ثم تحتم عليه مهمته المتميزة النوعية أن يقوم أحسن القيـام بما عليه من حسن الخدمة وبتنفيذ المكلف به وبما يطيق[1].

الضرب الثاني: الإيضاح بعد الإبهام:

وفي هذا النوع يظهر المضمون في صورتين مختلفتـين إحـداهما مجملـة مبهمـة، والأخرى مفصلة موضحة، وهذا مما يمكن المعنى في نفس المخاطب، فالمعنى إذا جاء مبهماً تشوقت نفس المخاطب إلى إزالة إبهامه وتبيانه ومعرفته وتوضيحه وتفصيله[2]، "فتتوجه إلـى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم أو لتكمـل اللـذة بالعلم به، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة واحدة لم يتقدم حصول اللذة بـه ألـم وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لهـا بـسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم إذا حصل لها العلم به حصلت له لـذة أخـرى واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم"[3]، وقد ورد هذا الفن الإطنابي في الحديث النبوي الشريف فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول ا ﷺ قال: (**عن أبي هريرةَ أن رسولَ ا ـ ﷺ قالَ إن من شرّ الناس ذَا الْوجهين الذِي يأْتِي هؤُلاءِ بِوجهٍ وهؤُلاءِ بِوجهٍ).**"[4].

([1]) ينظر: فيض القدير ٥٣/٥.

([2]) ينظر: عروس الأفراح ٢٠٩/٣.

([3]) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢٢٨/١.

([4]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ذم ذي الوجهين وتحريم فعله ورقمه (٦٥٧٣).

لعلنا نصيب إذا ما علمنا أن الغاية من الهدي النبوي التنبه لصنفٍ مـبهم مـن أراذل الناس وقد أراد نبي الخير ﷺ في هذا المتن الإطنابي البليغ أن يكشف عن نوع بلائه وإضراره وإساءته، فالمضمون النبوي في نفسه دقيق إذ يحتاج إلى تأمل وتفهم وتسهيل للعبـارة الثريـة المؤدية عنه وهذا مما يستدعي بسط العبارة وإزالة خفائها وإبهامها وتفصيل معانيها المجملـة وتوضيحها وكشف غموضها وبيانها حتى تبلغ الغاية المستطاعة في ذلك[1]، وفي قوله ﷺ: "إِن مِن شَر الناسِ ذَا الْوجهين".

إبهام وإجمال في المقصد النبوي الشريف غايته استنفار المخاطب ليتكنه هذا الـصنف من الآثمين وليحطاط ويتحذر ولاسيما إذا ما استلزم أمره التعامل معهم ولنمعن النظر في لغة النص النبوي التي عاضدت بدلالات ألفاظها الغاية البلاغية المرجوة، فظِـلال التأكيـد بـ ـ (إن)[2] تستدعي التيقن من إيغال المذنب في ذنبه وأما الحرف الجار (مِن) فقد بعض [3] وأفرد ذلك الشرير المنحرف إيماء إلى ضرورة التيقظ لتجنب شره ومقارعته وردعه وضرورة صده عن غيه، وتبلغ (مِن) الجارة إذا ما كانت غايتها بيانية [4] لأنها تكشف عن كنه مخادعة ذلـك الملتوي الموارب وتبدي نوع إيذائه ويستوطن المعرف بالإضافة (شَر الناس) مكـامن تـوبيخ الضال وتحقيره وإهانته[5]، وتنجلي ماهية شره بقول نبي الأكرمين ﷺ "ذَا الْوجهين" ويفـضل التعبير بـ (ذا) لما ينطوي عليه من معاني تخصص وتحنك وتمرس ذلك المحتال باحتيالاتـه والتواءاته ولتكن المعاني الكنائية المنبثقة من اللفظين الشريفين، ويروع كشف خفاء شر الناس الماثل في قوله ﷺ "الَذِي يأْتِي هؤُلاَءِ بِوجهٍ وهؤُلاَءِ بِوجهٍ" وقد فصل فيض الألفاظ النبوية وبين وأجلى غموض ضرب الشر، فإيذاء ذلك الشرير من رعاع الناس إنما ينبني على أنه "يأتي كل طائفة من الناسِ ويظهر لهم أنه منهم ومخالف للآخرين متبغض"[6] ودلائل الإيضاح والتفصيل البلاغية إنما تكمن أبلغ مكمنٍ في تحقير الخادع وإهانته ودنو شأنه وتحذيره ونهيه عن المنكر من أقواله وأفعاله التي يؤذي بها كل طائفة من الناس والترهيب من فعله الملتـوي المـوارب وضرورة التيقظ والتنبه لهذا الصنف من الأشرار وتنسجم دلائل بلاغة الإطنـاب الإيـضاحي انسجاماً بليغاً مع ما توحي به الدوال النبوية الوفيرة إذ بلغ الإيمـاء إلـى الـشرير بالإسـم الموصول (الَذِي) استهجاناً وتوبيخاً ثم بلغ الإيماء إلى المخدوعين الذين يحتال علـيهم باسـم

(1) ينظر: منهاج البلغاء ١٧٧-١٧٨.

(2) ينظر: معاني الحروف في القرآن الكريم ٣٦.

(3) ينظر: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه ٢٥٩.

(4) ينظر: معاني الحروف في القرآن الكريم ١١١.

(5) علم المعاني، ١٠٦.

(6) دليل الفالحين ٣٧٩/٤.

الإشارة (هؤُلاءِ) المستعمل للتنبيه[1] إلى جهلهم وانعدام معرفتهم حقيقة المفسد الخداع وخفاء أمره المنحرف عنهم.

ويتنكر لفظ (الوجه) ليدل على قدرة المخطئ وتمكنه من حبك مورابتاه ووجوه انحرافه وتنوع رذائله المتميزة في أنواعها التي يترزل بإحداها الذي يستوجبه ويستلزمه موقف المخادعة ويحسن تنكير (الوجه) مرة أخرى لإضماره كل صنوف الآثام التي تختبئ وراء ذلك الوجه كي ينال صاحبه ما يبتغي نواله بمداهنته المحرمة.

الضرب الثالث: الإطناب بالتكرار:

وهو أن يأتي المتكلم بلفظ أو جملة أو جمل ثم يعيدها بعينها سواء أكانت متفقه المعاني أم مختلفة أو يأتي بالمعاني ثم يعيدها[2]، ويتوظف الفن الإطنابي في النص النبوي الشريف من خلال التحليل البلاغي بغية استخلاص الأهداف البلاغية التي تتغاير بتغاير السياق اللغوي الذي لابد من مطابقته لمقتضى حال المخاطب[3]، ويكمن الغرض البلاغي الرئيس الذي يومئ إليه هذا النوع من الإطناب في توكيد المضامين والمعاني المختلفة التي يتضمنها النص الحديثي لبث فكرها في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها وتكمن قيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ بعينها ما أمكن ذلك، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً ينتهي بقبوله حقيقة ناصعة، وللتكرار تأثير في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار إلاّ إذا كان صاحبه الصادق نبي الأمة ﷺ فإنه لا ينسى أبداً، وانتهى بتصديق المكرر[4]، ولنتمثل بلاغة الكلام المتقدم فيما تحدث به أبو هريرةَ ﷺ إذ قالَ: **(قالَ رجلٌ يا رسولَ ا ـ من أَحق الناس بحسن الصحبةِ قالَ أُمك ثُم أُمك ثُم أُمك ثُم أَدناكَ أَدناكَ)**[5].

تتوافر الألفاظ النبوية في النسق النبوي البليغ لتنبئ عن معلم من معالم الشرع الذي سبقه القرآن الكريم في تبيانه وتبيان أهميته حتى إنه إقترن بعبادة ا تعالى وأن لا إشراك به تعالى عما يصفون، إنه بر الوالدين قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[6].

---

(1) ينظر: معاني النحو ٩٨/١.

(2) ينظر: الفوائد ١١١، المثل السائر ١٢٩/٢، ١٥٧، خزانة الأدب ١٦٤، المصباح ١٠٥.

(3) ينظر: الإيضاح ١٩٧، البرهان في علوم القرآن ١١/٣.

(4) ينظر: من بلاغة القرآن ١٤٣.

(5) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به ورقمه (٦٤٤٨) .

(6) سورة الإسراء من الآية: ٢٣.

ويوصي نبي البر ﷺ الرجل ويلزمه بضرورة إحسان الصحبة لمن يكون الأحق بالصحبة والأحق بالرعاية والعناية والبر ذلك أن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الإحسان للوالدين[1] ولاسيما الأم التي تكرر الإيصاء ببرها بترداد لفظها الكريم ثلاث مرات، وتزدهي بلاغة اللفظ المكرر الذي كثُر إطلاقه لفوائد ثرة منها: ثناء المكرر وتكريمه والإشادة بأفضاله، والإحسان إليه ما اقتضاه الإحسان، وخفض جناح الذل له والترحم به وتعظيم شأنه وتفخيم مقامه وذكره في القلوب والأسماع وطلب رضاه الدائم، ولا جرم أن التكرار التكريمي منعكس من ذكر اللفظ المكرر متدرجاً بتدرج الحرف العاطف السابق له (ثم) الذي أماط الخفاء عن دلائله البلاغية المتناسقة مع دلائل اللفظ المكرر المكرم[2]، فالمسوغ البلاغي المنبعث من ذكر لفظ (الأم) الأول مكمنه وجوب طاعتها والنهي عن عقوقها لأنها حملت – المخاطب – كرهاً ووضعته كرهاً وكابدت آلام حمله ووضعه وولادته وإرضاعه[3]، ويردد نبي الإحسان ﷺ لفظ الأمومة ثانية لتحقيق مبتغى بلاغي مكمنه إلزام الرجل بحسن معاملة أمه ذلك أنها قاست ما قاسته وعانت من مصاعب تربيته وخدمته وتمريضه والإشفاق والحنو عليه ثم يبلغ تكرار الإيصاء بالوفاء بحقها ورجاء رضاها بتكرار (لفظ الأمومة) ثالثة فرضاها يعني أولاً وآخراً رضا الله تعالى[4]، وداعي التكرار البلاغي ينبلج من أمر الرجل باستحضار أفضالها في توجيهه إلى أن بلغ ورشد وغدا رجلاً صالحاً وأباً فاضلاً قادراً على تربية أولاده التربية الإسلامية المثلى فتكون أمه بذلك قد بلغت بغيتها، وتحسن بلاغة التكرار بخطاب الرجل بكاف الخطاب التي كشفت عن مرمى بلاغي رمى إليه نبي الأمة ﷺ ماثل في أنه ﷺ لم يرد وصية ذلك الرجل فحسب بإحسان صحبة الوالدين وذويهما وإنما أراد أن يمتثل كل فرد من أفراد الأمة للوصية المكرمة[5]، وتبرع الغايات البلاغية المنبلجة من التكرار مرة أخرى لمثولها في قوله ﷺ (**ثم أدناك أدناك**) الذي يكني به عن ذوي الأرحام ومسعى البلاغة النبوية منبثق من تعاقب الإيصاء بالبر بالأقارب المقربين ثم المبعدين[6] بتعاقب لفظ (**أدناك**) وتُشرق بلاغة الإيصاء النبوي مرة أخرى بالأمر بصلة الأرحام والحدب على ذوي القربى ورعايتهم ومنحهم حقوقهم وتجنب إيذائهم والترهيب والتحذير من قطع الرحم والترغيب في بناء الرابطة الأسرية وروابط القرابة بأوثق العرى وأمتن وأقوى الأواصر وصلات التراحم.

(1) ينظر: فتح الباري ٤٦٧/١٠.

(2) ينظر: الدلالة البلاغية لحروف الجر والعطف في نماذج من الحديث النبوي الشريف: غالب محمد الشاويش، مجلة مؤتة ١٣.

(3) ينظر: فتح الباري ٤٦٨/١٠.

(4) ينظر: المنهاج ١٥٩/٨.

(5) ينظر: معاني النحو ١٠٨/١.

(6) ينظر: المنهاج ١٥٩/٨.

ولنستكشف بلاغة الإطناب بالتكرار فيما حدث به **أبو هريرة** ﷺ **قالَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (رغِمَ أنْفُه ثُم رغِمَ أنْفُه ثُم رغِمَ أنْفُه قِيلَ من يا رسولَ اللهِ قالَ من أدرك والِديهِ عِنْدَ الكِبرِ أحـدهما أو كِليهما ثُم لم يدخُلْ الجنةَ)** [1].

وفي المتن النبوي تستفيض البنى النبوية لتوكيد مضامينها توكيداً متكئاً على التـرداد بغية بث مغازيها في نفوس المتلقين وإقرارها في قلوبهم إقراراً يفضي إلى الإيمان بها وتبـدو قيمة توسيع المتن النبوي بالتكرار في ديمومة إيراد البنى بعينها حتى ترسـخ فـي الأذهـان رسوخاً ينتهي إلى قبولها حقيقة ناصعة ثم تؤول تلك الديمومة إلى تعاظم التأثير في عقول جل المخاطبين ونستشعر بعداً نفسياً تخفيه بنى التمدد ماثلاً في انطباع التبليغ في تجاويف الملكات اللاشعوية التي تختمر فيها أسباب أفعال المتلقين[2]، والمنتج البلاغي للترداد النبوي إنما ينبعث من الإرهاب والتحذير من عقوق أحد الوالدين أو كليهما ويشتد تأثير ذلك المنتج حين استشعار النفس أن (الرغم) قد وقع فعلاً للعاق فإن لم يكن فهو يكاد أن يكون، ومثله [3].

إن المنطوق المسترجع مواترة معنوية موظفة للإيحـاء بتعزيـز المرمـى البلاغـي وتوطينه في نفس أي متلقي وحضوره مدركاً حسياً مطرداً، ذلك أن هذا المنطوق الممتد منبهاً يتكفل بإيقاظ وعي المتلقي واستنفاره لدرجة إتمام وقوعه تحت سـلطة التـأثير النـاتج عـن المنبهات التي يولدها المنطوق النبوي والتي تتحول إلى شحنات عاطفية تفضي إلـى التجنـب المكتمل عن أن يعق أحد الحبيبين ما توالت كرات نطق البنى وما توالى استحضارها بهاء ببر الوالدين[4].

ونرى بلاغة الإطناب بالتكرار أيضاً فيما حدث به **جابِر قالَ قالَ رسولُ اللـهِ ﷺ (غَفَـر الله لِرجلٍ كان قبلكُم كان سهلًا إذَا باع سهلًا إذَا اشتَرى سهلًا إذَا اقْتَضى)**[5].

وترداد لفظ السهولة ورجيعه مؤذن بتعظيم المتلقي الداخلي والمتلقي الخارجي فـضلاً عن الترغيب في التحلي بالخلق الكريم، وتنشأ عن إعادة البنية فيوض من الأسرار البلاغيـة منها[6] أن ذلك الترجيع لا يبعث على السأم أو الملل بل إنه نوبات دلالية تشع بضرورة سهولة

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم انف من ادرك أبويه او أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة، ورقمه (٦٤٥٨).

(2) ينظر: من بلاغة القرآن ١٤٣.

(3) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣٥٥-٣٥٦..

(4) ينظر: التكرار في القرآن الكريم درس بلاغي، انترنت.

(5) ينظر: سنن الترمذي، كتاب البيوع عن رسول ا ﷺ، باب ما جاء في استقراض البعير أو الشيء مـن الحيوان أو السن ورقمه (١٣٢٣).

(6) ينظر: بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، ٦٥٥.

المعاملة ولين الجانب في البيع والشراء والإقتضاء وإذا ما تجدد تكرير البنية تقوى إنطباع النفس بهذا الخلق الكريم وأما صور الترديد فإنها تعتمد على إثبات وترسيخ وبيان المرمى النبوي، وتفرز دفقاً شعورياً باعثاً على تجدد المعاني والعبر حتى تغدو حية في نفسية كل متلقي[1] ولا يزيدها هذا التجدد إلاّ تألقاً وسكوتاً للقلب بعد أن يأخذ نصيبه من ذلك التكرار[2] ويبث دوران البنية المترددة بلاغياً معاني علو المتلقي يعلي المتلقي هيبةً ورفعةً ويتمثل في أن وصفه المتكرر بالسهولة يقرر أنها كانت أو ستكون جبلة وطبعاً وينفي ما يناقضها فالسماحة في خلق المتحدث عنه بادية في أن لم تكن في بيعه رغبة للتخلص من سلعة كاسدة ولا في الشراء لانفراد السلعة وإلجاء الحاجة ولا في الإقتضاء خوف الإهانة من مدين شرير[3]. وبذلك تزهو فيوضات البنية النبوية بفيوضات الحكمة النبوية.

الضرب الرابع: الإطناب بالتوشيع:

وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول[4] أو يؤتى بجمع مفسر بأسماء معطوفة على الإسم الأول[5]، وتنتقل المعاني في هذا الضرب من الإبهام إلى الإيضاح ومن الخفاء إلى الظهور[6]، وقد ورد التوشيع بالجمع في حديث سيد الفصحاء ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ا ﷺ : **(خَمس تَجِب لِلمسلِمِ على أخِيهِ: رد السلامِ، وتَشْمِيتُ العاطِسِ، وإجابةُ الدعوةِ، وعِيادةُ المرِيضِ، وإتباع الجنائِزِ)**.[7]

يتناسب التوشيع بالألفاظ النبوية المجموعة المنسابة مع مهمة النبوة الإبلاغية التي تدعو المخاطب إلى تفهم أحكام الشريعة ومنهاجها فإطناب الألفاظ في متنها التوشيعي إنما يؤدي البغية النبوية لتفقه تلك الأحكام والعمل بها ضرورة ... ويطنب نبي الشرع ﷺ في بيان الأحكام التي لا تتقيد بالعدد (خَمس) ذلك أن العدد لا مفهوم له لأن الحكم المتعلق به لا يدل بمجرده على حكم الزائد والناقص عنه فلا يعطى الزائد أو الناقص نقيض هذا الحكم وهذا يعني أن المخصوص بالذكر حكمه مقصور عليه[8]، وبناء على ما تقدم فإن الزيادة اللفظية تحتم على المخاطب أن يستحضر الأحكام الشرعية المغيبة التي تضاف إلى الحاضرة في

(1) ينظر: بلاغة التكرار في القرآن الكريم من خلال رسائل النور، انترنت.
(2) ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية ١٣١.
(3) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٩٤.
(4) ينظر: نهاية الإرب ١٤٨/٧، الطراز ٨٩/٣.
(5) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٤٠٤، محاضرات في البلاغة العربية ١١٤.
(6) ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية ١٢٩.
(7) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب مِن حق المسلم للمسلم رد السلام ورقمه (٥٦١٥) .
(8) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٤٠١.

النص النبوي ابتغاء التفهم الشامل لكل مبادئ الدين الحنيف، ويثري نبي الأحكـام ﷺ تعبيـره بالدوال المستفيضة المتكثرة التي تستهدف التسديد في أقوال المسلم وأفعاله المطلوبة فـالمراد من فعل (الوجوب) الأمر المطلوب على وجه التأكيد[1]، وهكذا تتجلي مطالب النبوة التي بات من الضروري على كل مسلم أن يلزم نفسه بتنفيذها ذلك أنها إحدى أعمدة الشريعة ، وتجـدر الإشارة الى دقة استعمال فعل الوجوب النبوي لغرض بلاغي مكمنه : أنـه الأنـسب بحـال المخاطبين لتساهلهم في الأحكام المذكورة أو لشدة احتياجهم إليها[2]، وتفسر الأحكام المعطوفة على الحكم الأول (رد السلامِ) ذلك الجمع المومئ إليه بالعدد (خَمس) والحري بالإشارة أنهـا تتعرفُ بالإضافة لينضوي تحتها سر بلاغي يتمثل في إيقاظ النفس والوجدان وتنبيـه الفطـرة الإنسانية واستثارتها فتأتي طوعاً لأوامر النبوة[3]، وأول تلك الأحكام"رد السلام" عملاً بقولـه تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[4]، ولعـل بـدء إيضاح وتفسير المبهم من الأحكام الخمسة برد السلام إنّما يستبطن غرضـاً بلاغيـاً مكمنـه "الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه يتوهم منه الشر فيجب عليه دفع ذلـك الـوهم"[5]، وتحقيق الأمن والأمان أساس رغد العيش وهنائِه ولذلك تقدم المبدأ الإسـلامي الأثيـر بقيـة المبادئ الشرعية لأن تحقيقها موقوف على تحقيقه ومن هذا المنطلق تحسن الفوائـد البلاغيـة المتأتية من عطف المبادئ الأربعة على المبدأ الأول في متن التوشيع الإطنابي فمكمن الفائـدة البلاغية المستخلصة من عطف المبدأ الثاني (وتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ) الدعاء له بالخير والبركـة[6]، وأصل لفظ (التشميت) في اللغة: الفرح ببلية المشموت به[7]، وعندئذ يحسن دعاء المسلم لأخيه بأن يبعده ا عن الشماتة ويهديه ويثبته على الطاعة [8]، والهدف البلاغي المنبعث من عطف المبدأ الثالث "وإجابةُ الدعوةِ" إنما يمثل في ضرورة حضور المناسبات الدينيـة والدنيويـة[9] لأجل التهنئة وتعجيل المسرة للمسلم والإسراع إلى ذكر ما يسره وينبثق الهدف البلاغي مـن عطف المبدأ الرابع (وعِيادةُ الْمرِيضِ) ويبدو في وجوب زيارته[10] والحـث علـى عيادتـه

---

(1) لسان العرب مادة (وجب) ٨٧٨/٣.

(2) ينظر: دليل الفالحين ٢٥/٢.

(3) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل ٦٥.

(4) سورة النساء الآية: ٨٦، وينظر عمدة القارئ ١٧/٨-١٨.

(5) دليل الفالحين ٢٥/٢.

(6) ينظر: فيض القدير ٥٨٥/٣.

(7) لسان العرب مادة (شمت) ٣٥٤/٢.

(8) ينظر: دليل الفالحين ٢٦/٢.

(9) ينظر: فيض القدير ٥٨٥/٣.

(10) ينظر: دليل الفالحين ٢٦/٢.

والدعاء له ببرئه وشفائه من مرضه إشعاراً له بحسن الاهتمام به وحسن الرعاية والعناية والتقدير لمقامه، ويحسن الغرض البلاغي المتولد من عطف المبدأ الخامس (وإتباع الْجنَائِز) لإيمائه إلى وجوب تشييع المتوفى وحضور الصلاة على جنازته وفعلها وإتباعها إلى الدفن والدعاء للميت بغفران الذنوب والإثابة على صلاح الأقوال والأفعال، ولعل في إختتام متن الإطناب بمبدأ (إتباع الْجنَائِز) فضل بلاغة تؤول إلى تذكير المشيع وغيره بنهاية الحياة فعليه أن يضع في وعيه أن الدنيا دار بلاء وإختبار ودار زاد وتزود وإنما يتزود بالزاد المرغوب بمزاولة صالح الأعمال وسائر محمود الفِعال والأفعال وفضائل الأقوال والترغيب بها والإلتزام بأداء الطاعات على اختلافها والترهيب من أضدادها ونقائضها للمفاز الدائم في دار البقاء ولا جرم أنه مبتغى كل مسلم ...

الضرب الخامس: الإطناب بالتذييل:

وهو تعقيب جملة بجملة تشتمل على معناها لتؤكد منطوقها أو مفهومها[1]، وينقسم هذا النوع على قسمين: الأول: التذييل الجاري مجرى المثل: وفيه تستقل جملة التذييل بمعناها ولا تتوقف دلالتها على ما قبلها بل إنها تستغني عما قبلها استغناء كلياً، الثاني: التذييل غير الجاري مجرى المثل: وفيه لا تستقل جملة التذييل بمعناها بل تتوقف دلالتها على ما قبلها ولا تستغني عما قبلها[2] وقد ندر وروده في الحديث النبوي الشريف، ومثال القسم الأول ما حدث به ابن عباسٍ رضِي الله عنْهما عن رسول اللهِ صلى الله علَيهِ وسلم فِيما يروي عن ربهِ تَبارك وتَعالَى قَالَ: **(إن الله كتَب الْحسنَاتِ والسيئَاتِ ثُم بين ذَلِك فَمن هم بِحسنَةٍ فَلَم يعملْها كتَبها الله عِنْده حسنَةً كامِلةً وإن هم بِها فَعمِلها كتَبها الله عز وجل عِنْده عشْر حسنَاتٍ إِلَى سبع مِائَةِ ضِعفٍ إِلَى أَضعافٍ كثِيرةٍ وإن هم بِسيئَةٍ فَلَم يعملْها كتَبها الله عِنْده حسنَةً كامِلةً وإن هم بِها فَعمِلها كتَبها الله سيئَةً واحِدةً ومحاها الله ولا يهلِك على اللهِ إلا هالِك)**[3]

وجملة التذييل إنما هي ماثلة في قوله ﷺ (ولا يهلِك علَى اللهِ إِلا هالِك)[4] ، إذ جاءت لتأكيد الجملة السابقة لها وهي جارية مجرى المثل ذلك أنها مستقلة بمعناها عن الجملة الأولى الماثلة في قوله ﷺ (فإن عمِلَها كُتِبتْ علَيهِ سيئَةً واحِدةً) وتجري جملة التذييل على الألسنة كجري الأمثال التي كثر استعمالها وفشا فهي لا تحتاج في إفادة معناها إلى الجملة المذيل لها[5]، وعلى الرغم من ضعف العلاقة الرابطة ما بين الجملة المذيل لها وجملة التذييل إلاّ أن

---

(1) ينظر: الإيضاح ٢٠٠، المصباح ٩٨، الفوائد ١٢١، البرهان في علوم القرآن ٦٨/٣، خزانة الأدب ١١٠.

(2) ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢٤٣.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ورقمه (٣٣٧).

(4) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣١٠.

(5) ينظر: علم المعاني ٤١٥-٤١٦.

الثانية تؤدي ناتجها البلاغي التقريري وهذا يعني بالضرورة أن المخالفة ظاهرية ما بين الجملتين على حين أن الموافقة بينهما باطنية [1]، ولعل مجيء جملة التذييل بأسلوب القصر أدعى إلى توليد التناسب التام بين مهمتها التقريرية ومهمتها التخصيصية الكامنة في إثبات الهلاك للمتلقي الداخلي – المهلك – ونفيه عما سواه نفياً غير قطعي[2]، ويتناسق الإطناب النبوي بجملة التذييل الجارية مجرى المثل مع استهداف إشاعة وبث مغزاها إلى جميع المخاطبين إذ أدت دورها البلاغي في إبراز غيبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق المرمى إلى كشفها وغدت تري المتلقي المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد[3]، ولجملة التذييل النبوية وظيفة نفسية تبدي آثارها في نفس المتلقي فبناها مدعمة بالحجة مقرونة بالبرهان وهي تحث المتلقي على الإفادة من سابق الأحداث والإعتبار بسالف التجارب، والتأمل بواقع الدلائل وهذا ما يجعل النفس تواقة إلى الإفادة من فحواها على مر الأزمنة ثم أنها تحمل النفس على العظة والاستجابة وأنها مسوقة للسيطرة على النوازع الداخلية وجعلها تستجيب لمرامي النبوة مع التأكيد على هذا التجاوب[4].

وقد ورد أيضاً في حديث أفصح الفصحاءﷺ: **(عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ مر على صبرةِ طعام فأدخلَ يده فِيها فنَالتْ أصابِعه بللاً فقَالَ ما هذَا يا صاحِب الطعامِ قالَ أصابتْه السماء يا رسولَ الله قالَ أفَلا جعلتَه فَوقَ الطعامِ كي يراه الناس من غَش فلَيس مِني).**[5]

يرتكز الحوار النبوي في متنه المستزيد الألفاظ على مضمون ردع الرجل الذي أراد أن يبيع براً بلله المطر فرطبه فزاد حجمه ووزنه فتحايل على الناس وأظهر الجيد منه وأخفى الردئ الذي لا يصلح للبيع ولا للطعام من أجل أن يغري المشتري بشرائه ويستغل غفلته ضامناً بذلك بيع البر والحصول على ربحه[6].

ويوظف الضرب الإطنابي في الجملة المذيل لها الماثلة في قوله ﷺ "أفَلاَ جعلْتَه فَوقَ الطعامِ كي يراه الناس" التي أومأ فيها نبي الخالق ﷺ إلى مخادعة البائع للناس واحتياله عليهم ببيعهم البر المغشوش وهكذا يبلغ المسوغ البلاغي للمطنب من كلام النبوة الكامن في تحذير البائع الغاش وتوبيخه وإنذاره ليرتدع ويمتنع عن الإقبال على البيع المحرم، ولينتهي عن التزييف في السلعة المباعة ودلالات دوال النبوة المستفيضة معاضدة لتلك المعاني البلاغية إذ ابتدأت الجملة النبوية بـ (أفلا) التي تحتمل وجهين بلاغيين الأول منهما أن الهمزة أداة

---

(1) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى ٣٨٨.

(2) ينظر: دلائل الإعجاز ٣٤٣.

(3) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم ٨٩.

(4) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ٣٤٩.

(5) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" ورقمه (٢٨٠).

(6) ينظر: المنهاج ١٧٧/٢-١٧٨.

استفهام خرج من غرضه الحقيقي إلى غرض مجازي مكمنه الأمر[1] وكأن نبي الفصاحةﷺ أراد أن يأمر البائع ببيع الصالح من البر وأن يلزمه بالبيع المشروع الذي لا غش فيه، وقد يكون الأصل في (أفلا) أداة تنبيه وتحضيض[2] بالغة فيما تدل عليه من ضرورة تنبه البائع لفعله المضر بالناس وحضه وحثه على الكسب الشرعي، وتنجلي دلالة التعبير بالجملة الفعلية عندما تنصب على وجوب إبدال البيع المحرم بالمشرع بأن يطهر البائع البر المباع فيبيع الجيد منه ويتلف الردئ، وتعقب جملة التذييل الجملة المذيل لها لتؤكد مضمونها بعد أن اشتملت عليه وتمتثل في قولهﷺ "من غَش فَلَيس مِني" الذي يعلن فيه نبي الأحكام والمعاملاتﷺ براءته من الغاشِ المقصود (البائع) ومن كل غاش والحري بالإشارة أن مضمون البراءةِ من الغاشين إنما يعتمد على تعمد البائع الغش في بضاعته وبيعه السلعة المحرمة ومن هذا المنطلق خرجت جملة التذييل النبوي مخرج المثل لتكون عبرة لكل من تسول له نفسه التحايل ومخالفة الشريعة الربانية، وتبدو ظِلال توكيد النهي عن الغش والكف عن فعله والتبرؤ من أي فاعل له متسقة مع دلائل دوال النبوة المطنبة فـ (من) بليغة في إيمائها إلى كل مدلس ومزيف في تجارته يستهدف الربح بأيةِ وسيلة مشروعة أو غير مشروعة[3]، والتعبير بالفعل الماضي (غش) من قبيل استعارة الفعل باعتبار زمنه المنصرم ليشمل الحاضر والمستقبل وسر العدول عن التعبير بفعل الحاضر والمستقبل إنما يكمن في تأكد حصول الجزاء المترتب على الفعل في مقام الترهيب والتجنب[4]، وبذلك يؤكد التعبير النبوي المذيل معاني التحذير والترهيب والتنفير من التجارة المخسرة كي ينأى كل من تسول له نفسه بالغش عن الترذل بالبيع الكاسد ولتقوية مضمون البراءة من المخادعين فقد نفى نبي الإسلام ﷺ إعتناق الغاش الإسلام ونفى إرتباطه بالشرع والشريعة إذا ما امتنع عن كبح شهواته ورغباته المحرمة وتوعده ﷺ بالمآل المخسر لا المربح في دار الفناء والبقاء.

الضرب السادس: التتميم

وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة مثل المفعول أو الحال أو الجار والمجرور، ونحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة، ولا ركناً من أركان الكلام وذلك لإفادة نكتةٍ بلاغية[5]. ومثاله ما ذكر **عن أُم حبيبةَ زوجِ النبي ﷺ أَنها قالتْ سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله**

(1) البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، د. حميد آدم ثويني ١٢١.

(2) ينظر: مغني اللبيب: ١٤٣/١، ١٤٧.

(3) ينظر: معاني النحو ١٣٩/١.

(4) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣٥١.

(5) ينظر : إعجاز القرآن ١٤٣.

عليهِ وسلم يقُولُ : (ما مِن عبدٍ مسلمٍ يصلي لِلهِ كُل يومٍ ثِنْتَي عشْرةَ ركْعةً تَطَوعا غَير فَرِيضةٍ إلا بنَى الله له بيتًا فِي الْجنةِ أو إلا بنِي له بيتٌ فِي الْجنةِ)[1] .

ونرصد في متن الإطناب النبوي تتميم بالبنى الآتية (مسلم – – كل يوم – من غير فريضةٍ)[2]، إذ إن كل بنية نبوية تعد فضلة وإفراغ المنظومة النبوية منها لا يجعل واقعية النص تتوهم خلاف المقصود[3]، وقد أثرت النص النبوي بالمعاني البلاغية لأن النطق النبوي مرتكز على ركيزة التعبير والبيان والبيان قد تتأتى بالإشباع اللفظي وبغية هذا الإشباع إقناع المتلقين بمرامي النبوة الشرعية وقد أحاط نبي البلاغﷺ بتلك المرامي في تعبيره الإطنابي المثرى إحاطة تامة[4]، ذلك أن القول النبوي يشع بالطاقات التعبيرية التي تستهدف الفهم من المتلقي،والإفهام من ملقي الكلام المطنب، فكانت الزيادة اللفظية على الواقع الكلامي مفيدة بلاغياً باعتبارها نتاج محسوس صادر عن الذهنية النبوية الهادفة إلى بناء المسلم باعتباره الأنموذج الإنساني الأمثل[5]، ولكل فضلةٍ فضيلتها البلاغية الرامية فقولهﷺ (مسلمٍ) يومئ إلى خصوصية المصلي الذي يصلي النوافل فضلاً عن الفرائض إذ لا شركةَ بينه وبين المصلي للفرائض فقط[٦]، وأما بغية الفضلة الثانية المتمثلة باسم الجلالة ( ) فمكمنها إبداء رجاء المخاطب – المصلي – التقرب إلى ا تعالى بالصلوات الفرائض والنوافل طمعاً في استجلاب رضاه وتشعر الفضلة النبوية الثالثة الماثلة في قولهﷺ (كل يومٍ) بالحث على ديمومةِ تأدية صلاةِ الثنتي عشرة ركعة[٧]، وتبدي الفضلة الأخيرة الماثلة في قولهﷺ (غير فريضةٍ) هدفها البلاغي الكامن في إكرام المخاطب – المصلي – بثواب ا تعالى الذي يضاف إليه ثواب الصلوات الفرائض. وإذا ما سلطنا الضوء على التناتج البلاغي الفني الذي يتأتى في خلال تفعيل البنى الإضافية الفائضة في سياقها فإننا سنرى بجلاء تعظيم المتلقي الخارجي ولاسيما إذا ما عمد إلى ديمومة صلاة اثنتي عشرة ركعة في كل يوم من غير الفريضة ثم سنرى ترغيبه في أداء الصلاة المخصوصة على وجه التحديد[8].

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، ورقمه (١٦٩٣).

(2) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣٠٣.

(3) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ٣٨٨.

(4) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ١٤٠.

(5) ينظر: جمالية الأدب الإسلامي ٥٢.

(6) ينظر: معاني النحو، ١٥٧/٣.

(7) ينظر: المصدر نفسه، ١١٨/٤.

(8) ينظر: بلاغة الكلمة والجملة والجمل ٢٣٣-٢٣٤.

الضرب السابع: الإحتراس:

وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك التوهم[1]، كما في قول رسول الله ﷺ على لسان إحدى النسوة من حديث أم زرع، حيث وصفت زوجها فقالت: **(المس مس أَرنَبٍ والريح ريح زرنَبٍ، وأَغْلِبه والناس يغْلِب)**[2].

ويتوظف إطناب الإحتراس في النظم النبوي الشريف ماثلاً في مركب (والناس يغْلِب)[3] والمؤسس الوضعي لهذا النوع من الإطناب منبئ برفض وإلغاء ما قد يكون مظنة المتلقي وهذا يتفسر بالضرورة بدفع إيهام أن يكون زوج المرأة الواصفة رجلاً ضعيفاً، فاحترست بمركب الإحتراس وحافظت على ما ينبغي أن يوصف به ذلك الرجل الكريم خلقه فضلاً عن أنها جعلت الوصف ركيزة راسخة في ذهنية المتلقي ولو لم تحترس المرأة في وصف زوجها ولو لم تقل (والناس يغْلِب) لفسد المعنى ولأوهم ذلك الوصف خلاف المقصود ولدل وصفها على معنى لا تقصده فأتت بما يزيل الفهم الخاطئ ويبدد الوهم ويلاشيه[4]، وجرياً على ما أومأ إليه البلاغيون في أن كل زيادة في المستوى السطحي للصياغة يتبعها بالضرورة زيادة في الناتج الدلالي وأن كل تعديل في العلاقات التركيبية يصحبه تعديل في الناتج الدلالي أيضاً[5]، فإن هذا مما يكشف عن الدلائل الفنية المتجددة للبنى المحترس بها[6] التي تتجه في مسارها صوب المتلقي الخارجي لتعلمه بتعظيم ذلك الرجل الكريم الخلق زوج المرأة الواصفة والترغيب في التحلي بذلك الخلق العظيم. وأن الإحتراس بالمركب النبوي مبني على المبالغة في مدح المتحدث عنه بدليل قول المتكلمة (والناس يغْلِب) إذ لم تقل (ويغلب الناس) بغية ترسيخ وتوكيد مفهوم المركب المحترس به في أذهان جل المتلقين.

الضرب الثامن: وضع الظاهر مكان الضمير

ومن الإطناب وضع الظاهر مكان الضمير لفوائد بلاغية[7] من ذلك مثلاً ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: **(سلُوا الله مِن فَضلِهِ فَإِن الله عز وجل يحِب أَن يسأَلَ وأَفْضلُ الْعِبادةِ انْتِظَار الْفَرجِ)**[8].

([1]) ينظر: الإيضاح ٢٠٢، التلخيص ٢٢٩، شروح التلخيص٢٣١/٣.

([2]) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الاهل، ورقمه (٥١٨٩).

([3]) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣٠٦.

([4]) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ٣٨٥.

([5]) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى ٣٣٩.

([6]) ينظر: مفاهيم في الفن والجمال ٨٨.

([7]) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ٣٩٣.

([8]) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، ورقمه (٣٥٨٠).

وندرك الإطناب بوضع الظاهر موضع المضمر في النظم النبوي الكريم والمؤسس البلاغي لهذا النوع من الإطناب معان عن مبدأ التدرج من البنية الواقعية التي يستعاض عنها والمؤولة في المركب بـ (فإنه يحِبّ أن يسألَ) إلى البنية الوفيرة التي لا استعاضة عنها الحاضرة في المركب المستفيض (فإن الله عز وجل يحِبّ أن يسألَ)، ولعلنا نصيب إذا ما أدركنا البعد البلاغي [1] لهذا التدرج أو التحول البنائي المستزاد ، ذلك أن المتكلم يحب أن يطيل كلامه إذا ما كان موجهاً إلى من يحب فكيف هو الحال أو الوصف إذا ما كان المتكلم يتكلم مع الذات الإلهية العليا، عندئذ يستفاض الكلام ويستكثر حتى يكون المتكلم في ديمومة نظمية مطنبة لأنه في موقف متفرد أوحد موقف التكلم مع الله جلت قدرته، وإذا ما انتقلنا إلى الدلائل الفنية التي تخفيها وفرة بنية (اسم الجلالة)[2] وجدناها بالغة في استحضار عظمة الحق جل وعلا بمجرد النطق ببنية ذاته العليا ذلك أن علَم الذات الجليلة لا يحتمل الشركة وليس كذلك بنية الضمير فضلاً عن أن في تكرار اسمه العظيم حث للعبد الفقير على المسارعة إلى سؤاله وطلب فضله والدوام عليه ثم في تصدر مركب الإطناب بحرف التأكيد (إن) وتكرار الإسناد بالفعل (يحب) الذي أُسند مرة إلى لفظ الجلالة وأسند مرة أخرى إلى ضمير الجلالة المستتر فيه تقرير للدلائل المتقدمة[3].

الخاتمة

وفيها ندرج أهم النتائج التي توصل إليها البحث وكالآتي:

١) إن النوع الإطنابي الأكثر وروداً في الحديث النبوي الشريف هو التكرار على الأرجح ويليه الإيضاح بعد الإبهام ثم ذكر الخاص بعد العام والتوشيع.

٢) أما الأنواع الإطنابية الأخرى الماثلة في الإحتراس والتتميم والإعتراض وذكر العام بعد الخاص والتذييل غير الجاري مجرى المثل فهي الأقل بل الأندر وروداً في النص العربي على وجه العموم والحديث النبوي الشريف على وجه الخصوص.

٣) يرى البحث أن هناك نوع من التداخل المفهومي ما بين القسم الإطنابي – ذكر الخاص بعد العام – والقسم الإطنابي – الإيضاح بعد الإبهام – إذ يمكن أن يتوظف النوعان في النص النبوي.

٤) توظفت أنوع الإطناب في نص الحديث النبوي الشريف كاشفة عن دلائلها الوضعية والفنية فبدت الدلائل الفنية المتغايرة بتغاير النص النبوي الشريف وسياقه الشريف.

5) أبرز البحث جماليات أسلوب الإطناب في خلال تحليل النصوص النبوية تحليلاً بلاغياً جمالياً.

---

(1) ينظر: مدخل إلى البلاغة العربية ١٢٨.

(2) ينظر: من بلاغة النظم العربي ٢٣٩.

(3) ينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٣٤٢.

ثبت المصادر والمراجع

١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، بغـداد-العـراق، (د.ت).

٢) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٣، القاهرة-مصر، (د.ت).

٣) الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، دار الشؤون الثقافيـة العامـة، ط١، بغداد – العراق، ١٩٨٨.

٤) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبـد الـرحمن الـشهير بالخطيـب القزويني، شرحه وعلّق عليه ونقحه: محمد عبد المنعم خفـاجي، بيـروت – لبنـان ، ١٩٥٨م.

٥) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد ا الزركشي، تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة – مصر ، (د.ت).

٦) البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، القاهرة – مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧) البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، د. حميد آدم ثويني، دار المناهج للنـشر والتوزيـع، ط١، عمان – الأردن، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

٨) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان-الأردن، (د.ت).

٩) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان، الإسكندرية – مصر، ١٩٨٨م.

١٠) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، د.عودة خليل أبو عودة، دار البشير للنشر والتوزيع، ط٢، عمان – الأردن، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١١) التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الـرحمن الـشهير بالخطيـب القزويني، شرحه: عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، بيروت – لبنان، (د.ت).

١٢) الجامع الصحيح،وهو سنن الترمذي/ للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٠٩ هـ-٢٧٩ هـ)/ دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع/ ط١/ بيروت-لبنان/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

١٣) جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المكتبة السلفية، ط١، الدار البيـضاء – تونس، ١٩٨٦م.

١٤) الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين، دار إقـرأ، ط١، بيـروت – لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٥) حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، د.محمود سعد، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، ١٩٨٨م.

١٦) خزانة الأدب وغاية الإرب، تقي الدين أبو بكر علي الشهير بابن حجة الحموي، شرح: عصام شعيتو، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.

١٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الإمام عبد القاهر الجرجاني، شكلّه وشرح غامضه وخرج شواهده وقدم له ووضع فهارسه، د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ.

١٨) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (١٠٥٧هـ)، دار الفكر، ط٣، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٩) شروح التلخيص، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ويتضمن:

- مختصر سعد الدين التفتازاني
- مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي
- عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي
- الإيضاح للقزويني
- حاشية الدسوقي على شرح السعد

٢٠) صحيح مسلم بشرح الإمام المحدث الفقيه محي الدين النووي: يحيى بن شرف أبي زكريا الدمشقي الشافعي (٦٧٦هـ) المسمى: (المنهاج) شرح صحيح مسلم بن الحجاج، رقّمه وخرج أحاديثه على كتاب تيسير المنفعة: محمد فؤاد عبد الباقي، إعتنى به وحققه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم ، ط١، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م.

٢١) الصورة الفنية في المثل القرآني، د.محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد – العراق، ١٩٨١م.

٢٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي اليمني، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء، بيروت – لبنان، (د.ت).

٢٣) علم المعاني – دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٤) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد ا محمود محمد عمر، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام: أحمد بن علـي بـن حجـر العـسقلاني ٧٧٣هـ-٨٥٢هـ، مع تعليقات العلاّمة عبد العزيز بن باز، إعتنى به: أبو عبـد ا محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط١، القاهرة – مصر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٦) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، شمس الدين أبو عبد ا محمد بن القيم الجوزية، بيروت – لبنان، (د.ت).
٢٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، العلاّمة: محمـد عبـد الرؤوف المناوي، مكتبة مصر، ط٢، القاهرة – مصر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٨) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور ٦٣٠هـ-٧١١هـ، طبعة جديدة مـصححة وملونة، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الـصادق العبيـدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، بيروت – لبنان، (د.ت) .
٢٩) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة – مصر ، (د.ت).
٣٠) مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني – علم البيان – علم البديع)، د. يوسف أبـو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، عمان – الأردن ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٣١) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين أبي عبد ا محمد بـن جمـال الدين محمد عبد ا بن مالك الأندلسي، ط١، القاهرة – مصر، ١٣٤١هـ.
٣٢) المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، إيران، ١٣٣٠هـ- ١٩٩١م.
٣٣) معاني الحروف في القرآن الكريم، الشريف قـصار، المؤسـسة الوطنيـة للكتـاب، الجزائر، ١٩٨٤م.
٣٤) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، بغداد- العراق، (د.ت).
٣٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، بغداد- العراق، ١٩٨٧م.
٣٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الإمام جمال الدين عبد ا بن يوسف بن أحمد ابـن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن محمد، أشـرف عليه وراجعه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتـب العلميـة، ط١، بيـروت-لبنـان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٣٧) مفاهيم في الفن والجمال، د. محسن محمد عطية، عالم الكتـب، القـاهرة – مـصر، ٢٠٠٥م.
٣٨) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ط٤، القاهرة-مصر، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.

٣٩) من بلاغة النظم العربي - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيـز عبـد المعطي عرفة، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٤٠) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦م.

٤١) نهاية الإرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة - مصر، (د.ت).

البحوث المنشورة في المجلات:

١) الدلالة البلاغية لحروف الجر والعطف في نماذج من الحديث النبوي الشريف، غالـب محمد الشاويش، مجلة مؤتة تصدر عن جامعة مؤتة، المجلد (١٤)، العدد(٢)، ١٩٩٩م.

موقع الانترنت

١) التكـرار فـي القـرآن الكـريم، درس بلاغـي، د. سـليم الحـصاني http://www.iraqalkalema.com

٢) التكـرار فـي القـرآن الكـريم مـن خـلال رسـائل النـور، حـسن الأمرانـي www.nuronline.com/symzip/98pdf/23.pdf